الفقه السیاسی عند المسلمین

پدیدآورنده (ها) : محمود فیاض

میان رشته ای :: نشریه الازهر :: المجلد الثانی و العشرون، محرم ۱۳۷۰ - العدد ۱

صفحات : از ۵۱۰ تا ۵۱۵

آدرس ثابت : https://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/399050

تاریخ دانلود : ۱۴۰۲/۰۷/۰۵

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائهٔ مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه قوانین و مقررات استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.

عناوين مشابه

- الفقه السياسى عند المسلمين
- الفقه السياسى عند المسلمين
- الفقه السياسى عند المسلمين التكاليف - المسئولية - الحريات - سيادة الأمة
- الفقه السياسى عند المسلمين
- الفقه السياسى عند المسلمين الحق الدائم للأمة، أولياء الأمر، مركز الحاكم
- الفقه السياسى عند المسلمين
- تطور الفقه السياسى الشيعى (مدخل إلى دراسة الحكم و الإدارة عند الشهيد الصدر)
- فقه سياسى: قراءة فى الفقه السياسى عند الإمام على
- قراءة فى كتاب: مناقشة فى الفقه السياسى سلطة الفقهاء و فقهاء السلطة عند الامام الخمينى
- الفكر السياسى: النظرية السياسية عند الشهيد الصدر

www.noormags.ir

الفقه السياسي عند المسلمين

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود فياض
أستاذ التاريخ بكلية أصول الدين

— ٢ —

تحدثت في الكلمة السالفة عن بعض إنتاج المسلمين في الفقه السياسي ، ورأينا التراث الضخم الذي خلفوه في البحوث السياسية المستقلة عن علوم الفقه والأصول والكلام ، والآن نتحدث عن اتجاه هذه البحوث على وجه عام .

في عصر العباسيين قامت حركة التأليف والترجمة والتدوين على قدم وساق ، وجميع ما خلفه المسلمون الأول ، يرجع تقريباً إلى هذا العصر ، أو إلى أصول وضعت في هذا العصر ، وكان العباسيون يهتمون قبل كل شيء بتركيز دعائم ملكهم ، لهذا كانت حرية الرأي - على مبلغ احترامها وعظم مكانتها في الإسلام - مستظلة إلى حد ما بلواء العباسيين ، وقد كان للعباسيين خصوم من العرب يمثلهم بنو أمية الذين استطاعوا ابتناء ملك واسع ومجد عريض في الأندلس ، يماثل - إن لم يفق - ملك بني عباس ومجدهم في الشرق ، وخصوم من غير العرب يتزعمهم ويثيرهم أبناء عمومتهم العلويون ، وفي ظلال الحكم العباسي تنبهت القوميات الغافية ، وتحركت الأطماع في نفوس كثيرين من أبناء الأمجاد الأول التي غلبها الإسلام ، ولهذا رأى العباسيون من حتمهم أن يشرفوا على توجيه البحوث ومراقبة « الإنتاج » الفكري في ملكهم ، ولعل هذا هو السر في اتجاه البحوث السياسية في كتب الأحكام السلطانية الاتجاه الواقعي ، بدليل أنها كانت استجابة لرغبة حاكم أو هدية إلى حاكم ، وبعبارة أخرى : إن كتب الأحكام السلطانية ، قصد بها تقرير الأوضاع التي تعورفت سياسيا بين المسلمين وتنزيلها على مبادىء الإسلام ، أو تنزيل مبادىء الإسلام عليها بتأويلها أو تلوينها بحيث لا تختلف مع العرف السياسي - تقريراً يتمشى مع وجهة نظر العباسيين وظروفهم الخاصة ، قد يكون هذا وقد يكون غيره أيضاً .

فعلماء الإسلام الأول وجدوا أنفسهم في أمة حية تعيش في دولة قائمة لها

www.noormags.ir

دستورها وأحكامها وتعاليمها ، فى شتى نواحى الحياة : فى الدين ، والأخلاق ، والاقتصاد ، والاجتماع ، وأمور الحكم والقيادة ، فى كل شىء ، فلم يشغلوا أنفسهم ببحوث فرضية سياسية ، عن أصل الدولة ، وكيفية قيامها ، ومدى الارتباط بين سيادة الحاكم وحقوق المحكومين ، لأنهم وجدوا دولتهم قائمة بالفعل على أساس من القرآن والدعوة إلى مبادئه ، التى تجعل من الحاكم خادماً لا سيداً ـ وإن كانت له سيادة فعلية معترف بها ـ وعلى هذا لم يتحدث علماء الإسلام الأولون عن أصل الدولة ، وهل هو « زعامة العائلة » اعتماداً على طبيعة الإنسان الاجتماعية ، أو هو « الزعامة الدينية » التى قام عليها ملك بنى إسرائيل القديم ، لأن ملوكهم فى نظرهم خلفاء لأنبيائهم ، أو هو « حق ملكى مقدس » بمعنى أن الله اختار شخصاً وملكه على بقعة من أرضه ، وسلمه السلطة مباشرة فهو مسئول أمام الله وحده مباشرة لا أمام الشعب ، أو هو حق الفتح والغلبة ، يرتفع عن طريقه شخص أو عائلة إلى السيادة فى بقعة ما من الأرض ، أو هو نتيجة لخطيئة آدم الكبرى أوجدها الله لتكبح جماح الأفراد ، وتحد من حرياتهم عقاباً لهم على هذه الخطيئة ، كما يرى ذلك آباء المسيحية الأول ؛ أم أن الأصل فيها هو قيام تعاقد بين الأفراد وحكامهم نتيجة لتصادم حريات الأفراد الأحرار المتساويين من كل وجه ؟ واتفاقهم على الخروج من حالة الطبيعة إلى حالة جديدة يتنازل فيها كل منهم عن شىء من حقوقه وحرياته فكانت الدولة ، وهل هذا التعاقد يقيم ملكية مطلقة مستبدة ، أو ملكية دستورية مقيدة ، او يعطى للشعب السيادة المطلقة على حكامه ؟ كل هذا لم يشغل المسلمون أنفسهم به فى العصر الأول لتدوين الفكر الإسلامى ، لأن البحث عن حالة ما قبل الدولة يقوم على أسس خيالية يفترضها الباحثون لتبرير نظرية خاصة ، وليس بحثاً يقوم على حقائق علمية معترف بها عند العلماء ، وهذا النوع من البحث الفرضى ، إن جاز فى بيئة علمية لا يحكمها دستور قائم ، فإنه لا محل له ، أو هو مضيعة للوقت فى بيئة علمية يحكمها دستور قائم « القرآن والسنة » تناول كل شئون الحياة الإنسانية ، وحدد للأفراد وللحكام الحقوق والواجبات ، بما لا يدع مجالا لطغيان هؤلاء أو أولئك ـ عند العقلاء ـ وما كان لهم أن يفترضوا فروضاً ، وعندهم حقائق مقررة تصرفهم عن مثل هذه الفروض ، ومن هذه الحقائق الثابتة عندهم : الملك لله الواحد القهار ، الحكم لله أحكم الحاكمين ،

www.noormags.ir

والأرض لله خالقها وخالق الكون ، والله هو المشرع وعلى هدى تشريعه قامت دولة المسلمين . وإذن فليتجه البحث إلى التشريع الذى أقام الدولة ، لا إلى حالة فطرية سبقت تحضُّر الإنسان ، وهو لا يعلم بالضبط متى تحضَّر ! !

ولكن لا بد لنا من الحديث عن أصل الدولة فى نظر الإسلام . ولدينا من النصوص الصحيحة ما يساعدنا على تجلية وجهة نظر الإسلام فى أصل الدولة ، ونحن نحاول قدر طاقتنا بيان ذلك فيما يلى :

أولا — الإسلام (القرآن) دستور عام خالد لا يتبدل ولا يتغير ، وهو هداية ربانية إلى أمثل منهج يحقق للإنسان السعادة فى الدنيا والآخرة ، فى شئون الدين والعبادة ، وفى تدبير مصالحه الدنيوية « ان هذا القرآن يهدى للتى هو أقوم » فهو يهدى الإنسان إلى المنهج الذى اختاره الخالق سبحانه لعبادته ، ويهديه إلى خير الوسائل التى تضمن له الحصول على ما قرره الله له من حقوق ، والقيام بما ألزمه به من تكاليف ، ومقررات القرآن الكريم ، وتوضيحات السنة الصحيحة لمبادئه ، مقررات ثابتة لا يجوز العدول عنها لهوى النفس ، وتبدل الأوضاع .

ثانياً — حرص الإسلام العقل على التحرر من قيود الجمود التى فرضتها الوراثة عن الجدود . وكان تحريضه بالغاً عند ما فرض له تعدد الآلهة ، ورتب ما رتب على التعدد من فساد ، فتحرر العقل وتوصل متمتعا إلى ما دعا الإسلام إليه من وحدانية الخالق وتفرده وحده بالخلق والإيجاد ، فاستبان للناس ـ أن الخالق واحد وهو المالك لكل ما خلق ، فالكون ملك لله . والناس عبيد لله ، سواء فى ذلك آحاد الآدميين وخاصة الرسل والأنبياء، وبهذا المبدأ السامى ألغى الشرك فى العبادة (الشرك الدينى) وألغيت الفروق بين الناس (الشرك الاجتماعى) . فكما أنه ليس من العقل عبادة غير الله مما خلق ، فليس كذلك من العقل التفرقة بين الناس الأحرار المتساويين فى الخلق والعبودية للخالق ، بدافع من جنس أو لون ، أو بدافع من حسب ونسب ، أو غنى وفقر ، فكل هذه الفروق لا اعتبار لها عند وزن القيم ، وفى ذلك يقول الله سبحانه : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » ويقول الرسول الكريم (الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، الناس لآدم وآدم من تراب)

www.noormags.ir

وقد جعل الإسلام مقياس الفضل والكرامة ، هو حسن العمل ومقدار النفع الذى يقدمه الشخص للإسلام والمسلمين « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فأفضل الناس أبعدهم عن الشرك وأنفعهم للناس ، وأشقى الناس من شقى به الناس . « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » حرية تامة . ومساواة مطلقة ، لا يقيدهما إلا صالح الإسلام والمسلمين . والناس فى ذلك سواء ، ليس لأحد أن يبتغى عزة أو سيادة على أخيه ، فإنه من كان يريد العزة ، فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ومن ابتغى وراء ذلك فهم العادون . فالله سبحانه هو السيد وخلقه هم عبيده ونسبتهم إليه واحدة ، يعيشون فى ملكه الذى خلقه لهم ، وسخر لهم ما فيه .

ثالثاً — المجتمع المسلم . هو مجتمع يقوم على مبادىء الإسلام . ويرتبط أفراده بجملة روابط قوية ، تتحكم فى قوته ، وتوجهه إلى الهدف المنشود . يربط بين أفراده اعترافهم بالسيادة المطلقة لله رب العالمين ، لأنه الصانع الذى يملك ما صنع ، وتربط بينهم أخوة إنسانية عامة : لأنهم بنو أب واحد وأم واحدة ، وتربط بينهم أخوة فى الإيمان بالإسلام ، عقدها الله بينهم لتكون منهاجا لتحقيق الأخوة الإنسانية العامة فى محيطها الواسع ، إذا رغبت الإنسانية فى سعادتها بالإسلام ، وتربط بينهم وحدة الهدف ، وهو نشر الإسلام ، للبلوغ بالانسانية كلها ، إلى الكمال والسعادة والسلام ، وتربط بينهم وحدة التكاليف لبلوغ الهدف . فلا اختيار ولا امتياز لأحد فى التكاليف الربانية ، يستوى فى ذلك المسلم الأول صلوات الله وسلامه عليه وأصغر المسلمين شأنا ، ويربط بينهم . مسئولية عامة مشتركة عن سلامة الدين وسلامة الفرد والجماعة ، وتوفير كل مستطاع من وسائل الحياة الحرة الكريمة للفرد والجماعة .

رابعاً — هذا المجتمع الذى يقوم نتيجة لمبادىء الإسلام ، ويرتبط أفراده بهذه الروابط ، هو مجتمع يقوم فى أرض الله ، ومجموعة أفراده (الأمة) مخاطبة رأساً بتكاليف الله (يا أيها الناس) ، (يا أيها الذين آمنوا) ، (افعلوا الخير) ، (واعبدوا الله ولا تشركوا) ، وخطاب الله للأمة شمل جميع التكاليف الفردية كالصلاة والزكاة والصوم ، والجماعية كالحكم ولوازمه من إقامة العدل وتنفيذ الحدود « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ، « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة . . » الخ . وهذه المجموعة قد استخلفها الله فى أرضه لعمارتها واقامة أحكامه المكلفة بها ، فكل

www.noormags.ir

ما تملكم فهو ملك الله ، « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « وكلوا من رزقه » ، وهذه الأمة المخاطبة المكلفة المسئولة ، هى الأمة الإسلامية ، فإن عاشت كلها تحت لواء واحد ، وحكم واحد ، وخضعت لمقدرات واحدة ، فى الأرض المحدودة التى تعيش فيها شعوبها ، والتى لا يسيطر عليها غير أبنائها ، ولا تخضع سيادتها لسيادة غيرها ـ كما كان الحال فى عصور الخلافة الإسلامية مثلا ـ إن كانت كذلك قامت الدولة الإسلامية . التى تظل الأمة الإسلامية . وإن عاشت شعوبها مستقلة كل شعب فى أرضه ، يحكمه حاكم خاص ، غير حكام بقية شعوبها ، قامت فى أرض كل شعب دولة مسلمة ـ كما هو الحال اليوم ـ تتميز بكل مميزات الدولة ، ولكن هذا الاستقلال والامتياز يجب ألا يخرجها عن أن تكون حلقة قوية فى سلسلة الدولة الإسلامية الكبرى « كالبنيان يشد بعضه بعضا »

خامساً ـ كل دولة لها سيادة عامة على بنيها وأرضها وكل مقدراتها لا تخضع لسيادة دولة أخرى فى شىء من ذلك . والدولة الإسلامية ، لها شخصية معنوية ، هى مناط التكليف والمسئولية . وهى التى رد الله إليها العزة والسيادة فى أرضه التى تعيش فيها ، بعد الله ، والرسول الذى أبلغ إليها شرع الله ، ووكل الله إليه تنفيذ أوامره والإشراف على مقتضيات سيادته ، إماماً ، وقاضياً ، وقائداً ، وحاكماً عاماً للمؤمنين ، « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما » . فالأمة لها على نفسها ـ بعد الله والرسول ـ السيادة المطلقة نيابة عن الله ، لا ينازعها فيها منازع . لها كلها كمجموعة ـ لا لفرد من أفرادها ، ومن حق هذه الأمة المكلفة المسئولة ، أن تختار من يباشر سلطتها نيابة عنها ـ فرداً أو جماعة ـ لأنها مجتمعة لا تستطيع مباشرة تكاليفها ، وهذا الاختيار من الأمة يقوم على الرضا ، وتوخى المصلحة العامة ، لا بقهر ولا جبر ، ولا خديعة ، ومن تختاره الأمة لقيادتها يخضع لرقابتها ، وليس له شىء من السيادة عليها ، لأنه وكيل يخضع لما يخضع له الوكيل فى سائر العقود ، من رقابة الأصيل الذى يحدد له تصرفاته ، ومن هنا جاء الشبه بين نظرية الإسلام ونظريات التعاقد ، فهناك حقيقة تعاقد بين الأمة ، ومن تختاره لقيادتها يتمثل فى البيعة على كتاب الله وسنة رسوله وصالح المؤمنين ، وتعهده هو بالعمل على ذلك ، ولكن شتان بين التعاقد فى نظريات غير المسلمين ، والتعاقد عند

www.noormags.ir

المسلمين ، فالأول تعاقد يقوم على تنازل الأفراد عن شيء من حقوقهم لمن يختارونه وسلطانهم عليه بعد ذلك منعدم أو محدود ، أما تعاقد المسلمين ، فهو مجرد توكيل للحاكم يباشر بمقتضاه . وفق شروط خاصة ، سلطات الأمة . ويخضع فى جميع أموره لسلطان الأمة ورقابتها ، وليس له عليها سوى حق الطاعة إذا التزم الشروط التى تعاقدوا عليها معه ، وسنتحدث عن ذلك فيما بعد بشيء من التفصيل .

سادساً : الدولة التى تقوم وفق ما ذكرنا من القواعد السابقة هى : دولة الله ! ! بمعنى أن الله هو خالقها ومالكها والمشرع لها ، وصاحب السيادة المطلقة عليها ، لا ينازعه فى ذلك منازع مما خلق ، وأن الأصل فيها ، هو تكليف الله للأمة ، ومسئوليتها عن صالح الدين والأفراد أمامه سبحانه ، وإنابة الله للأمة عنه سبحانه ، فى مباشرة السيادة عليها ومقتضيات هذه السيادة : ونحب أن نشير هنا إلى أن النبى محمداً صلى الله عليه وسلم ، قد حرص تمام الحرص على أن يجلى هذا المعنى لأتباعه وخصومه على السواء ، حتى فى أيام المحنة الكبرى ، عند ما ثار كثير من القبائل على سلطانه ودينه ، وتنبأ كثير من الناس بدافع العصبية والحسد للرسول والقريش فقد كتب مسيلمة الكذاب إلى الرسول الصادق عليه السلام ـ يقول : إن الله قد أشركنى معك ، فلنا نصف الأرض ولقريش نصفها . ولكن قريشاً قوم لايعدلون يريد مسيلمة ـ وقد ظن الرسالة ملكا أو تهدى إلى الملك ـ أن يقتسم الملك والسلطان مع الرسول القرشى فى وقت تألبت عليه فيه قبائل كثيرة فى اليمن وفى نجد وفى اليمامة وفى بنى حنيفة وغيرهم ، وقدر أن الرسول فى محنته هذه ، لابد أن يجيبه ، ولو أن شيئاً من ذلك كان جائزاً فى نظر الرسول عليه السلام لأجابه وحل الأزمة ، وأراح الإسلام والمسلمين من شرور كثيرة متوقعة ، ولكنه عليه الصلاة والسلام رد عليه يقول : بعد الحمد لله والثناء عليه وإظهار كذب مسيلمة : « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » وقد قال عليه السلام لواحد من أتباعه قد تلجلج أمامه فى الكلام « هون عليك فلست بملك فأستعبدكم ، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » ، وهذا هو معنى قول الله سبحانه وتعالى للرسول : « لست عليهم بمسيطر » .

وفى الكلمة التالية إن شاء الله نناقش نظرية الإسلام معارضة بنظريات غير للمسلمين ، والله يوفقنا إلى الحق ويهدينا سواء السبيل .

www.noormags.ir